

## الحصة الثانية: نماذج قانونية بارزة من الحضارات الإنسانية القديمة

الحقيقة أن الدارس لبعض القوانين التي وضعها الإنسان في التاريخ القديم، يقف على ما تتضمنه من إبداع وابتكار لمجموعة من الأنظمة والمؤسسات القانونية، التي لا زال لها فضل كبير على الأنظمة والمؤسسات القانونية المعاصرة.

وسنعرض في هذا الإطار لبعض النماذج التي تركت أثرا بارزا في التاريخ القانوني المدون قديما، وذلك من خلال التركيز على بعض النماذج المشهورة في الحضارات الشرقية (أولا) والحضارات الغربية (ثانيا).

### أولا: أبرز المدونات القانونية في حضارات الشرق القديمة

عرفت بلدان الشرق الكتابة منذ الألف الرابعة قبل الميلاد، ومنذ ذلك التاريخ توالى صدور المدونات القانونية؛ إلا أن منها من لم يحفظه التاريخ، ومنها ما حفظ منه بعض الفقرات أو الأجزاء فقط، ومنها ما حفظ كاملا.

وسنعمل فيما يلي على توضيح موجز لكل من مدونة حمورابي ببلاد الرافدين (أ) ومدونة بوكخوريوس بمصر القديمة (ب).

#### أ- مدونة حمورابي

سنبين بداية وضع واكتشاف هذه المدونة، ثم نلقي نظرة على مضمونها للوقوف على قيمتها القانونية.

#### أ-1- وضع واكتشاف مدونة حمورابي

يُنسب هذا القانون للملك حمورابي (1728 – 1686 ق.م)، الذي يعد أحد أشهر ملوك العهد البابلي القديم، ببلاد بين النهرين أو بلاد الرافدين<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> ويُقصد بها المنطقة الواقعة بين نهري دجلة والفرات، والمتكونة حاليا من العراق وجزء من سوريا.

وُجِدَت المسلة الحجرية التي كُتبت عليها المدونة مكسورة إلى ثلاث قطع، من قبل بعثة آثار فرنسية في مدينة سوسا جنوب غرب إيران سنة 1902م، ونُقلت إلى متحف اللوفر بباريس حيث توجد إلى الآن.

دُوّنت بالخط المسماري<sup>2</sup> وباللغة الأكديّة<sup>3</sup> على مسلحة حجرية أسطوانية الشكل، طول ارتفاعها 2,25 متر وقطرها من الأعلى 1,65 متر ومن الأسفل 1,90 متر ومن الوسط 0,60 متر<sup>4</sup>.

ويؤكد الباحثون بأن حضارة بلاد ما بين النهرين عرفت عدة قوانين في تلك الحقبة<sup>5</sup>، سابقة ولاحقة للمدونة موضوع الدراسة، كقانون أوكاجينا، وقانون أورنمو، وقانون لبت عشتار، وقانون أشنونا، والقانون الحيثي، والقانون الآشوري، والقانون البابلي الحديث؛ غير أنه من وجهة نظر القانونيين تبقى مدونة حمورابي أرقى قانون قديم، الأمر الذي سنقف عليه من خلال ملامسة بعض جوانب مضمونها فيما يلي.

## أ-2- أهم مضامين مدونة حمورابي

تتكون المدونة من ثلاثة أجزاء أساسية: وهي المقدمة والعرض والخاتمة، وقد صيغة المقدمة بأسلوب واضح يتحدث عن تفويض الآلهة لإله بابل مهمة نشر العدل بين الناس، الأمر الذي قد يوحي بطابعها الديني؛ إلا أن الأمر خلاف ذلك حيث باستثناء المقدمة صيغ متن المدونة بأسلوب قانوني، يكاد يخلو من الأحكام الدينية<sup>6</sup>.

تحتوي مدونة حمورابي على 282 مادة، مقسمة موضوعياً إلى خمسة أبواب وفقاً لتسلسل منطقي مقبول إلى حد كبير، حيث خصصت الباب الأول للتقاضي، والباب الثاني للأموال، والباب الثالث للأشخاص<sup>7</sup>، والباب الرابع للأجور، والباب الخامس لأحكام بيع العبيد وجزاء تمردهم.

2 الكتابة المسمارية: هي نوع من الكتابة تنقش فوق ألواح الطين والحجر والشمع والمعادن وغيرها. وهذه الكتابة كانت متداولة لدى الشعوب القديمة بجنوب غرب آسيا.

تعريف مأخوذ من موقع: [www.wikipedia.com/ar](http://www.wikipedia.com/ar)

3 اللغة الأكديّة: هي لغة عراقية قديمة، وتُصنّف ضمن مجموعة اللغات السامية الشرقية، التي تنتمي لها اللغة العربية، كما تعتبر اللغة الأكديّة أقرب اللغات القديمة إلى اللغة العربية.

تعريف مأخوذ من موقع: [www.wikipedia.com/ar](http://www.wikipedia.com/ar)

4 هشام علي صادق و عكاشة محمد عبد العال: تاريخ النظم القانونية والاجتماعية، ص: 204.

5 عامر سليمان: القانون في العراق القديم، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر الموصل (دون طبعة)، ص: 219.

6 إبراهيم أبراش: المؤسسات والوقائع الاجتماعية، م.س، ص: 208.

7 قسمت مدونة حمورابي المجتمع البابلي إلى أربع طبقات:

- طبقة الأحرار: تتمتع بكافة الحقوق لاسيما حق العضوية في مجلس الشيوخ

- طبقة الكهان: يتمتعون بنفس امتيازات الحكام، ويكلفون بنصح الحاكم وتبدير شؤون المعبد.

- طبقة الأتباع: وتضم العمال والصناع وعتقاء الرق.

- طبقة العبيد: وتشمل أسرى الحرب، والمسترقين بسبب عجزهم عن أداء ديونهم.

لمزيد من التوسع في هذا الشأن يمكن الرجوع إلى:

وبالرجوع لمضمون مدونة حمورابي يتبين أنها وفرت مقتضيات بتبويب وصياغة قانونيين متميزين، خاصة في مجال التعاقد، والوفاء بالالتزامات، وتنظيم الملكية الفردية، وحماية الضعفاء (غير الرقيق) من تسلط الأقوياء.

وفي هذا الإطار فقد تضمنت عقوبات زجرية قاسية<sup>8</sup>، تتمثل في قطع يد الطبيب إذا مات المريض أو فقد عينه (المادة 218)، وإن كان المريض الميت عبداً، اتخذ الجزاء شكل تعويضه برقيق آخر (المادة 249). وإن كانت عين الرقيق هي التي فُقدت يدفع الطبيب نصف ثمنه (المادة 220)؛ وإذا انهار البناء على مالكة لعيب في البناء يُعاقب البناء بالقتل (المادة 230)، وإذا انهار البناء على ابن المالك وقتله، يُعاقب البناء بقتل ابنه. كما قررت عقوبة القتل أيضاً في حق شاهد الزور، وأيضاً في شأن من يتهم غيره بالقتل ويعجز عن إثباته...؛ وبالتالي يتبين أن مدونة حمورابي كانت سباقة في إقرار المسؤولية الجنائية رغم عدم تمييزها عن المسؤولية المدنية التقصيرية.

وتضمنت مدونة حمورابي أحكاماً تنظم الزواج الشرعي، ومنعت زواج الأقارب، وبيّنت أحكام الطلاق والإرث والملكية<sup>9</sup>.

## ب- مدونة بوكخوريس

صدرت هذه المدونة في حقبة حكم الملك بوكخوريس (718 – 712 ق.م) مؤسس الأسرة الرابعة والعشرين في مصر الفرعونية.

ورغم أن التاريخ لم يحفظ النصوص الكاملة لمدونة بوكخوريس، إلا أن الباحثين تمكنوا من الوقوف على خصائصها ومضمونها، من خلال روايات قدماء المؤرخين، أمثال هيرودوس وديودور الصقلي.

فهذه المدونة عبارة عن تجميع للعادات والتقاليد القانونية السابق على عهد بوكخوريس، الذي أدخل عليها بعض التعديلات، وأزال عنها الصبغة الدينية.

طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار الوراق للنشر المحدودة بغداد، ط: الثانية 2012.

8 عامر سليمان: القانون في العراق القديم، ج 1، مطبعة جامعة الموصل 1977، ص: 21.

فوزي رشيد: الشرائع العراقية القديمة، دار الرشيد بغداد 1979، ص: 12.

9 لمزيد من التوسع حول مضامين مدونة حمورابي يمكن الرجوع إلى:

Lacore (Michelle): « le législateur et la Loi dans l'antiquité »; édition électronique : [www.journals.openedition.org/kentron/1757](http://www.journals.openedition.org/kentron/1757) ; mai 2003.

ولذلك تصنف ضمن المدونات المدنية التي تخلصت من الطابع الديني، في تنظيم أمور المجتمع، ويتجلى ذلك من خلال وضع قواعد قانونية هامة<sup>10</sup>:

- في مجال الأحوال الشخصية: أقرت المدونة حق الرجل والمرأة في إبرام عقد الزواج برضاها، وحق الزوج في التعدد إذا لم يكن من الكهنة، وحق الزوجة في اشتراط منعه من التعدد، وحق الزوج في الطلاق، وحق الزوجة في فسخ عقد الزواج واستحقاقها للتعويض عن الطلاق.

#### وفي المعاملات المالية:

- حرية الإرادة في التعاقد.
- الاعتراف بالذمة المالية المستقلة لكل فرد من أفراد الأسرة.
- اعتبار الكتابة في مجال الإثبات، بدل اليمين الدينية.
- منع التنفيذ على جسم المدين...

---

10 للاطلاع على أهم القواعد القانونية التي وضعتها مدونة بوكخوريس، يمكن الرجوع إلى: صوفي حسن أبوطالب: تاريخ النظم القانونية والاجتماعية، منشورات جامعة القاهرة، ط الأولى 2007، ص: من 131 إلى 133.